١٩٦٨/ ١٩٦٩. وبعد ذلك، سعت «فتح» الى تقوية م.ت.ف. وجعلها صانعة القرار، ومن ثم المؤسسة الممثلة المركزية القادرة على ترجمة التضحيات الفلسطينية الى مكاسب سياسية، وهي مكاسب يمكن صوغها وتوسيعها لتحقق القبول والاعتراف العربي، والدولي، المتزايدين. الا ان حركة المقاومة، مقارنة بـ م.ت.ف. المعدلة، ظلت تتمتع بنفوذ وجداني أهم حتى وقوع الحرب في الاردن؛ اذ استمر النظر اليها على انها القوة المقاتلة الحقيقية وموضع الضمير الوطني الاصيل. وانعكس ذلك الاختلاف الرمزي ـ العملي في تركيز سلطة اكبر، حتى أواخر العام ١٩٧٠، في لجان التنسيق المنبثقة عن حركة المقاومة (كمكتب التنسيق في العام ١٩٦٨، والكفاح المسلح في العام ١٩٦٩، واللجنة المركزية في العام ١٩٧٠) مقارنة باللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف.

لكن حرب الاردن في العام ١٩٧١ وضعت حدّاً للتنافس القائم بين الاطارين، وتمكنت م.ت.ف. من استيعاب حركة المقاومة وغدت بذلك المركز السياسي الفلسطيني . والواقع ان التطور الجديد هذا لم يكن شكلياً، بل طاول، فعلياً، الجوانب كافة.

بناء المؤسسات الفلسطينية، ١٩٧١ ـ ١٩٨٢

ركزت قيادة م.ت.ف. بعد ان شددت «فتح» من سيطرتها عليها، على بناء مؤسساتها السياسية والعسكرية والاجتماعية، تحت ضغط احتياجها الى التعامل مع التهديدات الخارجية والى تطوير اسس جديدة لمواصلة النضال ضد اسرائيل . وقد رافقت هذا التركيز، في ١٩٧١ ـ ١٩٧٣، عملية «تجييش» القوات العسكرية الفلسطينية، التي فرضت على م.ت.ف. وقعاً بعيد المدى، ودلّت على تبلور مفهوم جديد في مجالات النشاط الفلسطيني كافة، خلال السبعينات والثمانينات. وحسب هذه العملية، تحولت القوات الفلسطينية، تدريجياً، من مجموعات فدائية صغيرة خفيفة التسلح الى وحدات شبه نظامية، منظمة في سرايا وكتائب وألوية، مجهزة بأسلحة متوسطة وثقيلة .

كانت «فتح» السباقة الى تنفيذ هذا التوجه، متأثرة بوجود الآف الجنود والضباط، الفارّين من الجيش الاردني، في صفوفها. وفي السنوات التالية، حذت التنظيمات الاخرى حذو «فتح»، شيئاً فشيئاً.

لا مجال، هنا، لمناقشة الابعاد والمغازي والعواقب الكاملة لهذا التحول في الممارسة السياسية والعسكرية الفلسطينية. لكن النقطة الهامة التي يجدر ذكرها هي ان تجييش جميع اوجه النشاط الفلسطيني (اي التحول المؤسسي) قد شدّد مسلكية الانضباط الداخلي، وزاد اجراءات الحماية ضد المخاطر الخارجية، وقدّم منصة انطلاق جديدة للمبادرات الفلسطينية.

أضافت الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ دفعاً قويّاً الى التحول المذكور، وفي صلبه تحول في تفكير القيادة الفلسطينية نحو استراتيجية جديدة . وخلال السنة التالية للحرب، اكتسبت م.ت.ف. الاعتراف بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين من قبل الدول العربية وغالبية اعضاء مجموعة دول عدم الانحياز؛ وتوج ذلك بقيام رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة، ياسر عرفات، بالقاء كلمته التاريخية في الجمعية العامة للامم المتحدة . وللحقيقة، لم يكن هذا التقدم الذي حققته م.ت.ف. ممكناً، لولا التضحيات والمثابرة، ولولا نجاح استراتيجية «فتح» في تحويل المنظمة الى مؤسسة مركزية فاعلة. وبعد ان اظهر العرب في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ امكان خوضهم الحرب باهداف سياسية محدودة يمكن تحقيقها على مائدة المفاوضات من خلال الاستخدام العربي لعلاقات القوة والاستغلال لموازين القوى، الى جانب المكاسب التي